وظائف الإعلام الثقافي في عصر العولمة

د. زينب عبد الرحمن أزرق مصطفى(*)

المستخلص

تستمد هذه الدراسة أهميتها من منظور اتصالى ذلك أن الهويات الثقافية تناقش وتقوى وتتشكل من خلال الاتصال، وتهدف الدراسة إلى فحص الأدوات التي من شأنها خدمة بنية الإعلام الثقافي ودحض المحركات التي تعوق بنية المشاركة الاتصالية ويعرض مكونات الهويات الوطنية للاختراق، وتقوم الدراسة على فرضية أساسية وهى أن التداخل بين الثقافة والإعلام يشكل رابطًا وثيقًا وهى ما تصطلح الدراسة بتسميته الإعلام الثقافي، فتكامل وظائف الإعلام مع الثقافة من شأنه تحقيق الأمن الثقافي للمجتمع حتى لا يكون ضحية الغزو الفكري، وتستمد الدراسة أهميتها من حيوية الموضوع نفسه، إذ تأتى في زمن يشهد فيه العالم تحولات كبرى نتيجة لظاهرة العولمة، وهى ظاهرة كونية فرضت وجودها كمهدد للتنوع الثقافي، اذ أن العولمة تهدف إلى ضبط سلوك الدول والشعوب وإذابة الخصوصيات الثقافية، وهى مشروع غربي المركز والمنشأ عالمي الأهداف والغايات تخدمه الحتمية التكنولوجية بكل ما أوتيت من إمكانات تعجز الدول التي تتطلع إلى النمو عن الاتيان بها. وتتبلور مشكلة الدراسة في أن وسائل الإعلام تؤدي دورًا مهمًا في الترويج لمفاهيم وأفكار وثقافات الآخر فضلاً عن تأثيرها الثقافي باعتبارها مهمه لتحقيق التقارب الإنساني عن طريق الحث على إثراء القرارات النقدية التحليلية للوصول إلى المضامين الثقافية المنسجمة مع حاجات الجماهير، بغرض المحافظة على الأبنية الثقافية، وكذلك العناية بالمنتوج الثقافي من القصص والأدب والفنون وغيرها . من خلال ثلاثة مباحث المبحث الأول يناقش (مفهوم الإعلام الثقافي) كاستهلال مهم للدراسة . اما المبحث الثاني فيشير إلى (مفهوم العولمة كمهدد للذاتيات الثقافية للدول) ويقترح المبحث الثالث(الوظائف التي يمكن أن يحققها الإعلام الثقافي لحماية الخصوصيات الثقافية) وذلك لتوفير المؤشرات التي تؤسس بصورة منطقية للنتائج والتوصيات.

الكلمات المفتاحية : الإعلام، الثقافة، الإعلام الثقافي، العولمة .

(*) الأستاذ المساعد –كلية الإعلام – جامعة أمدرمان الإسلامية – السودان.

Abstract

The importance of this study comes out from a communicative perspective, that the cultural identities are discussed, strengthened and formed through communication. The study aims to investigate tools that serve the cultural media structure and refute the challenges that impede the structure of communication and expose the components of national identities for penetration. The study basic hypothesis depend on The overlap between culture and media is a close link, which the study concept to call it cultural media, integration of the functions of media with culture lead to cultural security of the community , so as not to be the victim of intellectual invasion, the study derives its importance from the vitality of the subject itself, where it comes in a time when the world is undergoing major transformations as a result of the phenomenon of globalization, which is a global phenomenon imposed its existence as a threat of cultural diversity, as Globalization is aimed at controlling the behavior of states and peoples and eroding cultural specificities. It is a Western roots and establishes project, and global goals. It is served by technological determinism with all the potential that the countries aspire to growth cannot achieve. The problem of the study is concentrate on that the media play an important role in promoting the concepts, ideas and cultures of the other, as well as their influence on the cultural as a mission to achieve human rapprochement by stimulating the enrichment of analytical critical decisions to

reach the cultural contents consistent with the needs of the community , in order to keep the cultural product, literature, arts and others. Through three topics, the first topic discusses (the concept of cultural media) as an important reflection of the study. The second topic refers to "the concept of globalization as a threat to the cultural identities of countries" and the third topic proposes (the functions that cultural media can achieve to protect cultural specificities) in order to provide indicators that logically establish the results and recommendations.

Keywords: Media, Culture, Cultural Media, Globalization.

المقدمة :-

يزداد اهتمام الإنسان المعاصر بوسائل الإعلام باعتبارها القنوات التي يحصل من خلالها على المعلومات والإرشادات، ووسائل الإعلام تعمل في مواقف معدة لها من قبل العملية الاجتماعية. إضافة إلى أن الإنسان بطبعه كائن تواصلي ونظام الاتصال ينبثق من نظام المجتمع فهو يرتبط بالمجتمع بنظمه وتعقيدات مؤسساته واتساع أنساق الاتصال في المجتمع يعكس نوعية تطوره، فتطور الاتصال هو انعكاس بائن لمدى التطور السياسي وفلسفة المجتمع في وقت معين ويعكس بالتالي تشكيل رؤى تستبين في الاتصال إدارةً للتنوع الإنساني، و أن تواصل المجتمعات الإنسانية ليس مجرد (شبكات فيزيائية) بل غدا أساسًا لأيديولوجيا التقدم. وقد اسْتُوحِيَتْ التصورات الأولى لعلم الاتصال من الفكر الذى يرى في المجتمع كياناً عضوياً أو مجموعة أعضاء تؤدى وظائف متكاملة محددة .وتكون آراؤها وفقا لمحددات هذه الوظائف وقد تفضى أحيانًا إلى بلورة رأى عام.

وبمناقشة الطبيعة السياسية للرأي العام ظهر مفهوم الجماهير وشهد هذا المفهوم اهتماماً أكبر لتطور الأحداث والوقائع . وأن ظهور وسائل الاتصال ونشأتها وتطورها كان بداية بتأثير العوامل السياسية والتاريخية والجغرافية أكثر من كونه تطبيقاً لمفاهيم أو اختراعات علمية كما يحدث في الوقت الحالى. ويستطيع المتابع والمحلل لتطور وسائل الإعلام أن يلمس ما حدث لها من تغيرات.

ولقد ظل الاهتمام بالتأثيرات المحتملة لوسائل الإعلام على الأفراد والثقافات يسيطر على المجتمع الأكاديمي منذ الحرب العالمية الثانية، وقد ركزت بحوث كثيرة على دراسة تأثير وسائل الإعلام على الدول المتقدمة ودول المركز خاصة الولايات المتحدة وكندا وأوروبا[١].

وفي المقابل فإن عدداً كبيراً من الباحثين النقديين اهتم بدراسة تأثير وسائل الإعلام على دول الأطراف الأقل نمواً وركز في دراساته على بحث قضايا مثل القوة والسيطرة والحتمية الاقتصادية والعوامل الأخرى المتصلة بها.

على الرغم من أن نظرية الاستعمار الثقافي كانت تتمتع بمصداقية باعتبارها نموذجًا سلبيًا في العلاقات الدولية فإن ما قامت به شركة سونى اليابانية لشراء

شركة كولومبيا للإنتاج السينمائي الأمريكية، أجبر الباحثين على إعادة التفكير في سؤال: من يملك ماذا؟ إذ أصبحت المشكلة عابرة للقارات بعد أن كانت معلقة بشعار صنع في أمريكا ونتيجة لذلك فقدت كتابات الباحثين النقديين في هذا المجال مبرراتها وبريقها خلال عقد التسعينيات عندما قامت الشركات الإعلامية الأجنبية الرئيسية بتغيير خارطة وسائل الإعلام الدولية [٢]. إن المنتجات الثقافية المنتجة في الخارج تملك القدرة على التأثير في عناصر الثقافات المحلية وفي وسائل الإعلام في الدول التي تستقبل المنتجات الأجنبية، فنتيجة للتحولات الاقتصادية استطاعت مؤسسات الإعلام الدولية المشاركة في بيع السلع والخدمات لجمهور عالمي . والمتتبع للآثار الاجتماعية والقضايا المترتبة علي هذا النوع من الأنشطة والممارسات الاقتصادية والثقافية يشهد علي انها تقدم ثقافات وأحلام بعيدة عن ثقافة المستهلك النهائي لها حيث أنتجت في بيئات مختلفة ثقافيا عنها . ويرى ماكينزى أن الإمبراطوريات الإعلامية الاتصالية الأمريكية أصبح لها تأثير عدواني على الثقافة في العالم، وأنها تهدد التنوع الثقافي[٣] ما مهد لإدماج الثقافة في العملية الاقتصادية التجارية الجديدة أسوة بغيرها من المنتجات وأصبح الانتاج الثقافي بأيدي التجار أصحاب رؤوس الأموال الضخمة فخضعت وسائل الاتصال لمنطق السوق، وتهدف الدراسة إلى بحث العلاقة الجدلية بين العولمة وواقع الثقافات المحلية والإقليمية .

مشكلة الدراسة

ومهما اختلفت الآراء وتباينت حول من يملك السيطرة الأكبر على البيئة الثقافية إلا أننا أمام حقيقة ماثلة وهي أن التنوع الثقافي في طريقه إلى الاضمحلال في ظل العولمة وآلياتها بقيادة الشركات عابرة القارات، إذن نحن أمام إشكالية ثقافية تهدد العالم وخاصة الدول البعيدة عن دول المركز أو ما اصطلح بتسميتها دول الهامش كذلك لابد من البحث عن مخرج له خصوصية تميزه يهتم بالجانب الثقافي وآثاره وأدواته ويناقش قضاياه ويطرح الأسئلة والإشكاليات ويبحث عن الحلول. عن طريق توسيع مجالات المعرفة وبناء حوار متعدد بين مختلف الاتجاهات محدثاً نوع من التقارب الثقافي كما يعمل على معالجة وتحليل الأحداث والظواهر ذات البعد الثقافي بهدف إثراء القرارات النقدية التحليلية ويعمل على توثيق المضامين الثقافية وضرورة انسجامها مع

حاجات الجمهور بغرض المحافظة على أبنية الثقافة الوطنية وصون الذات الثقافية من الاندثار، كذلك العناية بالمنتوج الثقافي من الأدب والقصص والفنون وكل ما يعبر عن مفهوم الثقافة أو الأوعية التي تنقل معانى الثقافة والترويج لكل ذلك من خلال وسائل الإعلام .

إذن التداخل بين الإعلام والثقافة يشكل ترابطاً وثيقاً . وهو ما تعرفه الدراسة بالإعلام الثقافي.

وتتكامل الثقافة مع وظائف الإعلام التي من شأنها ضمان الأمن الثقافي للمجتمع حتى لا يكون ضحية الغزو الفكري .

فرضية الدراسة:

لا يختلف اثنان في أن الإعلام يعتبر أحد الأسلحة الإستراتيجية البالغة الأهمية لما له من تأثير على الجماهير في مختلف المجالات، إذ تقوم أدواته بوظائف تزويد المعلومات السليمة والحقائق الثابتة التي تساعد الجمهور على تكوين رأى عام مستنير وتوجيهه في شتى المناحى، ولا يمكن تصور الثقافة دون تعبير أو ايصال معلومات من خلال وسائل الإعلام، ولا يمكن من ناحية أخرى الحكم على وسيلة الا من خلال احتوائها على زاد ثقافي، وبما أن الإعلام يتدخل في مجالات التنشئة الاجتماعية والتعليم والمناقشة والحوار والتثقيف والترفيه وتنشيط الاقتصاد والتنمية الإنسانية، يصبح دور وسائل الإعلام حيوياً في خلق بنية ثقافية وتهيئة مناخ للمشاركة الاتصالية ومحركات قادرة على تشكيل صناعة الإنسان الجديد خاصة في ظل التنميط الثقافي الكوني بفعل العولمة التي تسعى إلى تفكيك الثقافات التقليدية باعتبارها ثقافات ادنى وإفساح المجال لهيمنة ثقافة أحادية.

وتتمثل فرضيات الدراسة في:

- يسهم الإعلام في تكوين اتجاهات ايجابية داخل المجتمعات ويفجر الطاقات الخلاقة لدى الجماهير إذ أنه أداة للتنشئة الاجتماعية.
- توظيف تكنولوجيا المعلومات لاستقبال المعارف التي تعمل في خدمة خطط التنمية الإنسانية وفى استلهام خبرة الثقافات الأخرى وخلق مرتكزات الفكر الحديث.

- تعمل القنوات الفضائية التجارية المملوكة للشركات الكبرى على تحويل الثقافة إلى سلعة تجارية مرتبطة بأسواق المال ومشاريع الإثراء والربح السريع وبالتالي إعادة تشكيل إرادة الشعوب عن طريق تغيير تصوراتها للواقع .
- التنميط الثقافي الربحي أدى إلى سيادة ثقافة جماهيرية متدنية .
- توظيف الإعلام الثقافي توظيفًا صحيحًا يفضى إلى مجتمع آمن ثقافيًا واجتماعيًا.

أهمية الدراسة:

وتتميز هذه الدراسة بخاصية مهمة تكتسب هذه الأهمية وفقا لعدة أوجه:

الأهمية الموضوعية: تأتي الأهمية الموضوعية من أهمية الموضوع نفسه فالإعلام والثقافة مرتكزات أساسية تقوم عليها المجتمعات .فوسائل الإعلام تقوم بدور مقدر في الترويج لمفاهيم وافكار وثقافات الآخر، فضلا عن تأثيرها علي اتجاهات الرأي العام والإسهام في تشكيله.

كما للموضوع أهمية زمنيه اذ يتزامن نشر هذه الدراسة مع انتشار ظاهرة الأمركة ومهددات الهوية الثقافية للشعوب، اذ اندمجت ثورة الإعلام والاتصال في إستراتيجية إعادة هيكلة الرأسمالية لتبشر بواقع جديد عرف بظاهرة العولمة كمصطلح جديد يفرض نفسه في جميع المجالات، وهى الظاهرة المهيمنة بأساليب جديدة هدفها التحكم والتلاعب بالاقتصاد، وبالتالي تغيير معنى الثقافة ودورها ومكوناتها وأصبحت وسائل الإعلام هي الناقل الأساسي للثقافة لذلك لابد من وجود دراسات تؤكد وتدعم وضعية الثقافة في المجتمعات المحلية بقصد تقوية النسيج الحضاري ومحاولة الدفاع عن الهوية الثقافية وحمايتها والارتقاء بالذوق العام.

أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى:

١. **فحص الأدوات التي من شأنها خدمة بنية الإعلام الثقافي ودحض المحركات التي تعوق بنية المشاركة الاتصالية ويعرض مكونات الهويات الوطنية للاختراق.**
٢. **إبراز وظائف الثقافة وأدواتها ومالها من أهمية في الحفاظ على الذات الثقافية .**
٣. **التركيز على أهمية المحتوى الثقافي وضرورة الارتقاء به في وقت ساد فيه تسليع الثقافة.**
٤. **تبيين الوظائف الفنية والجمالية والعلمية والاجتماعية من خلال إدراك قيمة الفكر والفن والذوق.**

المبحث الأول
مفهوم الإعلام الثقافي

إن مصطلح الثقافة من المصطلحات التي وجدت حظها من الدراسة وإن اختلفت حولها الدلالات إلا أن معظمها يشير إلى كل ما أنتجه البشر من أفكار وعادات ونظم اجتماعية وسياسية ومدلولات اقتصادية وفعاليات أدبية وفنية، هو في الواقع وثيق الصلة بفعل التواصل بين الأفراد والجماعات المختلفة وبين الأمم والحضارات . فالثقافة تتمثل في مجموع الظواهر المميزة والرموز التي يختص بها المجتمع الاجتماعي . بينما الإعلام هو المحرك والمعبر عن مقومات النشاط الاجتماعي وهو الذي يعلو بالإنسان عن غريزته إلى المطامح الحضارية، وهو المنبع المشترك الذي ينهل منه هذا الإنسان الآراء والأفكار . وهو الرابط بين الأفراد والموصى إليهم بشعور الانتساب إلى مجتمع واحد وهو الوسيلة إلى تحويل الأفكار إلى أعمال، والأداة التي تعكس الأحاسيس والحاجيات من أبسطها إلى أعلى آيات الكمال .(٦)

عند الحديث عن الثقافة وعن الإعلام فكلاهما يرمي إلى المعرفة والاطلاع ويسعى إلى إرضاء طموح الإنسان ويتخذ كل منهما الاتصال والتخاطب طريقة أساسية لبلوغ هذه الأهداف، فأية ثقافة في الوجود إذا لم تؤازرها وسائل الإعلام فمصيرها الي الزوال، كما أنه لا سبيل أمام وسائل الإعلام للنفاذ الي الخارج بدون زاد ثقافي يشد اهتمام الجمهور إليها ويسمح لها بإبلاغ رسالتها. ومن أكثر الأعمال التي أثارت جدلاً في الغرب وساهمت في إحياء الاهتمام بموضوع الثقافة ودورها المهم هو كتاب نشره عام ١٩٨٥م **Laurence Hinson { Under development is a state of Mind} The Latin American Case**

إذ أكد على أهمية العامل الثقافي في مجال تحليل التنمية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية . وبدأ التركيز من جديد على العوامل الثقافية لتفسير التحديث والديمقراطية السياسية وسلوك الأقليات العرقية والتقارب والصدام بين المجموعات البشرية . ثم كان كتاب صموئيل هنتجيتون عن صدام الحضارات (١٩٨٩م) حيث أكد المؤلف على أهمية الثقافة كعامل أساسي بالنسبة للتنمية

والصدام بين الجماعات البشرية، اذ أن الصدام في العالم الجديد في نظره سوف لن يكون في المقام الأول للأيديولوجيا، والاقتصاد ولكنه سيكون ثقافياً . فقد ركز على تأثير الثقافة على أنماط الترابط والتصدع والصدام في عالم ما بعد الحرب الباردة ولكن ظهرت أيضا حركة مضادة تنتقد بشدة التفسيرات الثقافية، والتي اعتبرها هنتجون دليلاً على نجاح المدرسة التي تبنت التأثيرات الثقافية وأعلامها الجدد.(٧)

وتتفق الدراسة مع أهمية العامل الثقافي باعتباره من أسباب الركود والتخلف في المناطق النامية أو التي تنمو فلابد من غرس قيم ثقافية إيجابية تدفع بهذه المجتمعات .

كما لابد من تبني منهج يعيد للثقافة حيويتها فتصبح قوة رائدة تحكم سلوك الإنسان وتدفعه في طريق بناء الحضارة فلاشك أن اتجاهات القيم والأعراف والمعتقدات تؤدي دوراً بالنسبة للسلوك الإنساني .

ويعرف أديب خضور(٨) الإعلام الثقافي المتخصص بانه ذلك النوع من الإعلام الذي يعالج الأحداث والظواهر والتطورات الحاصلة في الحياة الثقافية ويتوجه أساساً إلى جمهور نوعى معنى مهتم بالشأن الثقافي، ويظهر الإعلام الثقافي في مرحلة معينة من تطور الحياة الثقافية ويسعى لمواكبة هذه الحياة والتفاعل معها، كما أن الإعلام الثقافي يعكس مستوى تطور ونضج الحياة الثقافية ذاتها .

غير أن هذا التعريف يقتصر علي الإعلام الثقافي المتخصص ولعله يقصد بذلك الفعل الثقافي ويهتم ويناقش قضايا الإبداع الإنساني، غير أن الدراسة تعنى بالإعلام الثقافي وهو الذي يتمتع بالقدرة على رفع الوعي ونشر المعرفة ويصبح بمثابة الموجه للمجتمع، ويؤدي دوره كأحد المكونات التي تشكل الرأي العام ويكون أداة مهمة لتكوين ثقافة المجتمع والارتقاء بمستواه وقدراته وتنمية شعور أفراده بالمسئولية وبث الروح الوطنية والقومية وبعث قيم احترام الوقت وروح العمل الجماعي .

هذا النوع من الإعلام الثقافي الذي يكون مرناً قادراً على التكيف مع ظروف العصر محافظاً على الهويات قادراً على المشاركة في تأسيس البناء المعرفي والتقارب الثقافي، كما له القابلية لغرس الاتجاهات والمهارات

والمحافظة على الأبنية القيمية في مواجهة شتى المتغيرات التي تحملها رياح العولمة .

كذلك تعنى الدراسة بالإشارة إلى الدور الذى يمكن أن يضطلع به الإعلام الثقافي في توظيف الإعلام الثقافي في اكتساب المعرفة لا مجرد اقتنائها في عصر التكنولوجيا هذا الذى تشعبت فيه العلوم و تقاطعت المعارف، هذا الدور يجب أن يكون قادرًا على استغلال الإمكانات التفاعلية للأدوات الاتصالية الجديدة حيث انتقلت المعرفة من حالتها الاستاتيكية في القرن الخامس عشر نتيجة اختراع الطباعة إلى صورة أخرى للمعرفة تتميز بالديناميه وسعة الانتشار فاتسمت بالجماهيرية.

كما يعنى الإعلام الثقافي بإحداث بيئات المشاركة الاتصالية بين الثقافات المختلفة وتفاعلها وهذه خاصية مهمة جدا في عصر التنوع الثقافي هذا ومحاولة الحفاظ على الهويات الوطنية.

المبحث الثاني
الإعلام الثقافي والعولمة

يناقش هذا المبحث الإعلام الثقافي والعولمة لما لهذا الدور من أهمية في المجتمع الإنساني المعاصر الذي بات يلهث وراء ركب التكنولوجيا المنطلق، وهو يدفع بالمهارات والمعارف إلى قائمة الاستهلاك السريع فأصبحت سمة هذا العصر الاستهلاك، وفي ظل ليبرالية السوق وعجز الحكومات عن الوفاء بواجباتها في التأمينات الاجتماعية والخدمات التعليمية والرعاية الصحية وحماية البيئة وما شابهه .

أما في مجال القيم والهويات القومية تبشر العولمة بواقع يعلو فوق الفوارق الثقافية ويقوم على المبادئ الإنسانية المشتركة وإحياء التراث وحوار الثقافات والأديان، والتصدي للفساد والسمو بالقيم الإنسانية بينما يظل التحدي الأكبر ماثلا في تأجيج النزعات العرقية والدينية واللغوية كرد فعل للعولمة ومن ثم الاحتماء بالمحلية والقومية وطمس الثقافات وتسطيحها وكسر الحواجز اللغوية مع دعم اللغات القومية.

كما أن عولمة الإعلام تعتبر من المخاطر التي يمكن أن تطيح بالاستقلالية الإعلامية للدول النامية وأكبر تهديد يواجه هذا التوجه الحالي هو السعة العالمية لتدفق البيانات Broad band والذي شهد اندماجاً ما بين الإنترنت والتلفزيون والهواتف النقالة ما يعني مزيد من الغزو الإعلامي الغربي وسيادة المضامين الغربية، وتتلاشى آمال العولمة في إتاحة المعرفة للجميع للإسراع في معدلات التنمية من خلال خصخصة قطاع الاتصالات وتوسيع نطاقه وإقامة شبكة وطرق للمعلومات، فتظهر تلك الفجوة الرقمية وتزداد اتساعاً متغافلةً الجوانب الاجتماعية والثقافية للتنمية .

وفي ظل سيادة الثقافة الأحادية الغربية وسيطرة الشركات عابرة القارات على البنيات الإعلامية بهدف السيطرة على السوق الإعلامي الدولي لتحقيق الأرباح من خلال زيادة حجم جماهيرها وزيادة حصتها في السوق العالمي . وصناعة الرضا عن الولايات المتحدة عن طريق هندسة الرأي (العبارة التي استخدمها نعوم تشومسكي في كتاباته)، كذلك تغلغل الإعلان في حياة الناس

مما يجعل الثقافة ذاتها وأفعالها سلعة تباع وتشترى. ثم تأتى السمة الأكثر حضوراً وهي الفورية والتنافس فيقل الارتباط بالماضي والتاريخ ويصبح الأفراد اسرى للحظة فقط، وفي ظل سيادة لغة واحدة يبرز الانفصال بين لغة العلم ولغة الثقافة في مجالات الأدب والفنون مما يهمش الثقافة المبدعة [٤].

وفي ظل هذا الانفجار المعلوماتى يتشكل المجتمع المعاصر اذ تظهر أهم ملامحه وآثاره الاجتماعية فتبدو الفردية سمة بائنة وتتعزز نتيجة للابتكارات التقنية المتلاحقة التي تحتم الانفراد والانعزال عن البيئة المحلية وفي ذات الوقت توسع نطاق المشاركة العالمية في مجتمع افتراضي وتعلى بذلك قيمة الفرضية، كذلك يجد النزاع العقائدي طريقه في خارطة الصراع الدولي وتظهر النعرات الطائفية والمذهبية، متزامنة مع ظهور القبائل العالمية وتصبح المعلومات معظمها بلا مصداقية في ظل الجهل بمصادرها. كل هذه المظاهر وغيرها أدوات تعمل على الإفلاس الثقافي وإفراغ محتواه التاريخي والحضاري، ويشكل توظيف الإعلام الثقافي جانباً مهماً في التصدي ومواجهة هذه الإشكاليات .

إن العولمة والأمركة وجهان لعملة واحدة أي أن الأمركة مرادفة للعولمة فكلاهما هدفة السيطرة والهيمنة والتحكم والتلاعب بالسياسة والاقتصاد في مختلف الدول وذلك استنادًا إلى سياسات وخطط أمريكية . في العالم كما أن مفهوم العولمة تطبيقا علي أرض الواقع يعني الأمركة، التي تمتد لتطول الثقافات والشعوب والمجتمعات وتنال من الهويات الوطنية والقومية وتحاول أمريكا تعميم أنماط معينة من السلوك والأخلاق والأدب وأساليب العيش والتدبير مما يعد احتلالاً للعقل والتفكير حيث أشار الرئيس الأمريكي الاسبق جورج بوش (الأب)في ٢٤-١-١٩٩٠إلي ذلك وأكد عليه حين قال في أجواء الاحتفال بالنصر في حرب الخليج الثانية (إن القرن القادم سيشهد انتصار القيم الأمريكية وأنماط العيش والسلوك الأمريكي[٥].

المبحث الثالث
وظائف الإعلام الثقافي في عصر العولمة

ونستعرض بعض الوظائف التي تقترحها الدراسة والتي تمكن الإعلام الثقافي من إحداث أثر مهم في عصر العولمة، منها :

١. وظيفة البناء المعرفي :-

تقوم المعرفة على ظهر المعلومة ويشتد عودها إذا تم توافرها ورعاية مستودعاتها، فلا يمكن اتخاذ قرارات سليمة في ظل غياب المعلومة فهي والثقافة وجهان لعملة واحدة هي عملة الوعي والإدراك، لا يمكن للثقافة أن تنتقل من جيل إلى جيل إلا عن طريق المعلومة، فهي تمثل عنصراً أساسياً من عناصر عملية الاتصال، فهي الركيزة التي ينطلق منها أى نشاط إعلامي أو ثقافي فأبنية الأنشطة الثقافية تستند على المعلومات في هذا العصر الذي أطلق عليه عصر المعلومات Information Age وتكنولوجيا المعلومات هي المحرك الرقمي لعملية العولمة إذ أصبحت المسافات تتقلص وتزداد الوشائج والصلات بين الأفراد والمجتمعات والأمم والشعوب فأصبح العالم أسرة كونية تتصارع فيها الاتجاهات وتتبارى التيارات من أجل تأييد تلك القضية أو تلك، مع استخدام هائل ومتطور للتيارات الفكرية ولجميع أجهزة الإعلام وتحطمت أمامها الحواجز التي كانت قائمة بسبب المسافات الشاسعة التي تفصل بين الأقطار والقارات المتباعدة.(٩)

فأصبحت المعلومة لا تحدها حواجز ولا حيز مكاني لذلك يباشر الإعلام الثقافي مهمته خاصة إذا توفرت أوعية المعلومات إذ أنها تسهم في دعم الثقافة فتعمل على تشكيل المجتمع الواعي، ولا يمكن أن يتحقق ذلك إلا من خلال توفير المعلومات اللازمة ضمن مصادر بناء الإنسان عبر حياته في مختلف مراحلها .ذلك يعني أن المعلومات أصبحت ثروة وطنية لا تقل أهميتها عن أهمية الموارد البشرية، إذ تعتمد عليها القرارات السياسية كما أن ارتقاء المجتمعات أصبح يعتمد على ما تملكه من معلومات، وإحياء الثقافة وأدواتها يعمل على إثراء المعلومة وتراكم المعلومات يعمل على تشكيل وعي ثقافي، خاصة وأنه في ظل تدافع الصناعات التكنولوجية أصبحت تكنولوجيا المعلومات

أداة مهمة للرصد والتحليل ومتابعة التفاعلات، كما أصبحت توفر قنوات فعالة لإتاحة الحوار بين الثقافات، إذ أن الثقافات دينامية متطورة والمعلومات هي المورد الإنساني الوحيد الذي لا يتناقص بل ينمو مع زيادة استهلاكه [١٠].

إن التحدي المهم الذي يواجه امتلاك المعلومات بحرية هو تحالف محركات المعلومات (شبكة الإنترنت) فتحالفها مع ايدلوجية السوق الحر، ربما يؤدي إلى زعزعة الدولة القومية وتهميش الثقافات غير المركزية، لذلك لابد من امتلاك تكنولوجيا المعلومات والاتصالات وإقامة نموذج مبتكر للتنمية الاجتماعية الشاملة والتي تتخذ من الثقافة محوراً لها ومن وسائل الإعلام وسائط لنقلها وترويجها ونشرها، فإن من شأن توافر المعلومات، وأهميته في البناء المعرفي أنه يعمل على تنمية وعى المفكرين والمبدعين وبالتالي في زيادة الإنتاج الفكري والإبداع .

كما أن التوسع في إنشاء المكتبات الرقمية يعمل على إبراز أدوات الثقافة من فنون وآداب وموسيقى، كما يعمل على تشجيع الدراسات والبحوث التي تتناول فنون المعمار وغيرها من الفنون .

كذلك خدم التقدم التكنولوجي في مجال المعلومات البناء المعرفي في إطاره الجماعي إذ أن التفاعل الشبكي أدى إلى تواصل أفراد ينتمون إلى مسافات جغرافية متباعدة فظهر مفهوم المعرفة الجماعية والملكية الفكرية الجماعية والذكاء الجماعي **Collective Intelligence** . وللإعلام الثقافي دور مقدر في إشاعة المعرفة وتنظيم الذاكرة الجماعية للمجتمعات خاصة في مجال جمع المعلومات ومعالجتها، كما له دوره المهم في الحث على التوثيق والاهتمام بالمعلومة وحفظها من الإهمال والضياع، فالإعلام الثقافي المبنى على أسس علمية بمعنى أن له خطط وأهداف واضحة، يعمل على التقليل من التنافر المعرفي وذلك عن طريق التعرض الانتقائي للمعلومات، فالتوعية الثقافية توفر للفرد سبل البحث عن ما يتفق وأفكاره وميوله وتبعده عن المعلومات التي تتنافر معها ميوله وبالتالي يعمق حيز التنافس كما أنه يشجع على المواءمة بين الرأي والسلوك وما يؤمن به الفرد وما يمارسه .

كما أنه يعمل على كفالة فرص الاطلاع والتفاهم بالتعرف على ظروف معيشة الآخرين ووجهات نظرهم وتطلعاتهم مما يدعم التكامل والتفاهم، ويمكن

أعضاء المجتمع من التعايش والعمل المشترك الناتج عن التواصل وتبادل وتلاقح الأفكار.

كما أن الاهتمام بالمعلومات من شأنه نشر المعرفة وتفتيح الأذهان وشحذ الكفاءات وتنمية القدرات فقد اتفقت كثير من الآراء على أن إشاعة استخدام تكنولوجيا المعلومات سيسرع بمعدلات التنمية البشرية ليمكنها من زيادة الإنتاجية وما توفره من بدائل في مجالات التعليم والرعاية الصحية علاوة على تنمية روح المشاركة وترسيخ الديمقراطية.

فتكنولوجيا المعلومات هي همزة وصل بين التكنولوجيا والتقانة فإتاحة المعرفة تؤدى لفهم كلى لمنظومة المجتمع الإنساني الحديث وكل ما ذكرناه لا يتأتى في الدول النامية إلا إذا ضاقت الفجوة الرقمية وأصبح هناك اهتمام بالبعد التنموي للمعلومات، كما أن حرمان القطاع العريض من الفقراء من الوصول إلى مصادر المعلومات سيخلق خللاً في البناء المعرفي إذ يصبح بناء فوقى محصور في قمة الهرم فقط خاصة عندما تعجز هذه الدول عن الاستفادة من المعلومات في حل المشاكل وتوليد المعارف الجديدة . كما أن البناء الخيالي للمعرفة أيضاً له آثاره الضارة.

٣. وظيفة حماية الذات الثقافية :

والثقافة ليست فقط الجانب التعبيري للانفعال وحسب بل هي قوة فاعلة وسلاح خطير يؤثر في تشكيل الوعي وتحديد آفاقه، إلا أن الثقافة في عصر السيولة المعلوماتية المتزامنة مع تجليات العولمة ادت الي تغيير عبارة "تداخل الثقافات" العبارة المحايدة التي أطلقتها اليونسكو في الخمسينات لتحل محلها عبارة "صراع الثقافات" .

لذلك تصبح العولمة الثقافية هي أخطر أنواع العولمة . وإن تعددت تعريفاتها إلا أنها كلها تؤدى إلى نوع من الاستعمار الحديث وهى في حد ذاتها مرحلة متقدمة من مراحل المركزية الثقافية ويراها البعض أنها تعنى "تبعية الأطراف للمركز" تجميعاً لقوى المركز وتفتيتاً لقوى الأطراف بما في ذلك الدولة الوطنية (١١) .بينما يرى فيها البعض هي حقبة التحول الرأسمالي العميق للإنسانية جمعاء في ظل هيمنة تحول المركز وتحت سيطرته.

إذن تتفق معظم التعريفات علي أنها تعنى مرحلة التحول الرأسمالى وليس نهاية التاريخ كما هو الوصف لدى بعض المفكرين .

وقد تداخلت الجدليات الفكرية حول ذاتية الشعوب الثقافية وكيفية المحافظة على موروثاتها، فقد أدت العولمة إلى تغيير جذري في الوعي الاجتماعي بإزالة عنصر المكان، كما عملت على إحداث حركة تفاعلية لها اثر فعال في إعادة تشكيل الهويات الثقافية مما خلقت أزمة الهويات بفعل إلغاء الحاجز المتعلق بالحيز المكاني وتعمل على بناء مجتمعات ثقافية جديدة، إذن فقد صارت العولمة إحدى المكونات الرئيسة للشعوب، لذلك أصبحت الأنظار تتجه نحو وسائل الإعلام الجماهيرية لما لها من قدرة عالية بفعل التكنولوجيا، من أجل حماية الثقافة الوطنية والقومية من تغلغل الاستعمار الحديث مما يجعل دور الإعلام الثقافي متعاظماً فالتحالف القائم بين الإعلام كواجهة من واجهات الاتصال والثقافة كوعاء يعمل على حفظ الهوية الدين، اللغة ...الخ .

يجعل دور الإعلام الثقافي بارزاً في مجال تعزيز الأنماط الفكرية والسلوكية للشعوب خاصة وأن التكنولوجيا أصبحت تشكل قوة استعمارية منفصلة من البنيات الاجتماعية والتنموية، كما أنها أصبحت تشكل قوة استعمارية حديثة، وأصبح العالم يعيش تحت سلطة المعلومة وليس معلومة السلطة .

فالتنميط الثقافي الذي تسعى الولايات المتحدة لفرضه ما هو إلا جزء مكمل لنزعة الهيمنة والتسلط. فنائب الرئيس الأمريكي السابق آل جور يقول "إن الطريق السريع للمعلومات هو بمثابة طريق الإسفلت الذي ينقل بضاعة الصناعات الأمريكية عالمياً وسيكون شريان نقل بضاعة صناعة الثقافة الأمريكية عالمياً هو الطريق المعلوماتى، حيث نادي بإقامة بنية أساسية معلوماتية عالمية(١٢) .

وهذا التصريح الأمريكي يؤكد ما ذهب إليه المفكر برهان غليون في ندوة عقدت في القاهرة عام ١٩٩٧م تحت عنوان مستقبل الصحافة العربية حيث "قال إن العولمة الثقافية تقوم بتعميم أزمة الهوية حيث تتضاءل مع تزايد الثقافات الأقوى في فضاء مفتوح على الثقافات الوطنية ونفوذها". وقد شن وزير الثقافة الفرنسي السابق ومن خلال مؤتمر عقد في المكسيك هجوماً على

سياسات الهيمنة الثقافية الأمريكية قائلاً "الدول التي علمتنا قدراً كبيراً من الحرية تحاول أن تفرض ثقافة شاملة واحدة على العالم أجمع".

إن هشاشة البنية المعنوية والمادية للثقافة في الدول النامية تجعلها الأكثر عرضه للتراكم الكمي والنوعي لآثار العولمة الثقافية فربما تتعدى ذلك إلى تزوير الوعي الجمعي في هذه المجتمعات، وبالتالي إلى إنكار تعريف الذات وتتشكل الهوية الثقافية من اللغة المشتركة والماضي المشترك والدين والتقاليد ... إلخ وهذه من أهم ظواهر الهوية الثقافية إلا أن طغيان اللغة الإنجليزية باعتبارها لغة المعلوماتية يعد من أشد المخاطر على الهويات خاصة العربية الإسلامية باعتبار أن اللغة مرتبطة بالهوية الدينية وطمسها يعنى طمس الدين، وذلك كله يدخل في عملية دينامية مستمرة يقصد بها تشكيل المجتمعات على أنماط متماثلة في القيم والسلوك بل في ألوان التذوق الفني والأدبي، وتقضى بذلك على ألوان الثقافة الشعبية المحلية والتي لا تزدهر الثقافات الوطنية بغيرها.

وتنأى بعض المجتمعات عن التفكير العلمي لإشكالاتهم بل يحدث انسلاخ عن الواقع المحلى وبالتالي تندر المشاركة الفعالة، نتيجة لنقص الدافعية وضعف الحوافز المحركة لها . ومن المخاطر السلوكية أيضاً تغيير أساليب الحياة والركون إلى الاستهلاك المادي باعتباره نمط حياة لا يمكن التخلي عنه . كذلك علو وتيرة مواد التسلية من أفلام ومسلسلات تعمل على تغيير ثقافات أهمها خلق المتلقي السلبي .

إزاء هذا الكم والنوع من المخاطر وفى عالم متشبع بوسائل إعلام متنامية، يصبح لزاماً على الإعلام الثقافي أن يتيح الأدوات التي تساعدنا في التحليل النقدي لمظاهر الثقافة الغربية التي تلتحف عباءة العولمة، كما يتيح قراءات متأنية للبيئة الإعلامية الجديدة. فالثقافة مرتبطة بالتكوين الاجتماعي والتاريخي وعجز هذه المجتمعات عن استيعاب الثقافة الوافدة وإعادة فهمها يفضى إلى أزمات هوية تهدد بالانسلاخ والضياع .والإعلام الثقافي له القدرة الكامنة على إثارة الوعي نحو تكوين كيانات قادرة على مواجهة الغزو الثقافي .كما أنه يعمل على إعداد الأفراد للمشاركة في حياة جماعاتهم عن طريق نقل الخبرات المتراكمة للجماعة من جيل إلى آخر، كما أنه يعمل على الحفاظ على التنشئة

الاجتماعية والعمل على دفع الأنشطة الثقافية وانتفاع الأفراد بصفة عامة بالنتاج الثقافي والمشاركة في الحياة الثقافية وقد حددها لازويل في : (مراقبة البيئة والترابط بين أجزاء المجتمع، نقل التراث الثقافي من جيل إلى جيل).

وبدخول العالم هذا المرحلة من مراحل الصراع الفكري يستطيع الإعلام الثقافي حفز الأنشطة والنظم الفكرية في المجتمعات خاصة التي لا تملك كثيراً من أدوات القوة المادية فمتى ما نجحت الثقافات في إظهار نفسها كثقافة كونية إنسانية ألغت كل ما عداها من الثقافات والصراع على الظهور بهذا المظهر الكوني هو الرهان الأساسي لعولمة الثقافة لأنه يؤكد صلاحيتها في نظر الجماعة التي تحملها والجماعات الأخرى(١٣).

٣- وظيفة تحقيق الوحدة الاجتماعية

إن الإعلام الثقافي يسهم في تحقيق الوحدة الاجتماعية في المجتمعات المختلفة من خلال إيجاد ثقافة مشتركة تنتج عن مشاركة المعلومات وبالتالي اتخاذ القرارات الصحيحة والقدرة على تفسير الوقائع . كما تمكنه من الانخراط في التنمية الثقافية عن طريق إنشاء أوعية المعرفة الرقمية بفتح قنوات لتبادل المعارف والكتب والمستودعات الإخبارية والإعلامية .

كما أن إعلاء دور المؤسسات التعليمية ومنظمات المجتمع المدني، لتحل محل قطاع "الماركتين Marketing " الذي صار يتحكم في ثقافة المواطن يعتبر بديل مهم لتلاشى سيادة ثقافة السوق، ومحاربة الرضي عن مضامين ورموز الثقافة الغربية .اذ أن الإفادة وإعلاء إيجابيات العولمة في المجال الثقافي وأهمها أنها صقلت مناخ عالمي لامتزاج أفكار الشعوب وفنونها والافتراض المتبادل للقيم واللغات وأساليب الحياة مقابله تحديات الاستلاب الثقافي، كذلك بصياغة نهج فكري يستند ويعول على الحوار والتواصل الفكري مع الآخرين حتى يتم إبرام التصالح بين الاختلافات والاحتفاء بالتنوع الثقافي الذي يقوم على مبادئ إنسانية مشتركة والسمو بالقيم الإنسانية، مقابل الاحتماء بالمحلية والقومية وتقويض الروابط الأسرية. في هذا الإطار يصبح لزاما على الإعلام الثقافي في هذه المرحلة البحث في تحولات الشعوب والدفع

بعلوم تهتم بالثقافات البشرية بعيداً عن التعصب الطائفي أو الايدولوجي إذ تعتبر من أهم مهددات التلاقح الثقافي .

نحن أمام ظاهرة عالمية لابد من الاعتراف بها كواقع وأنها استطاعت أن تعبر عن حركة التقارب العالمي الذي يبرز عبر ظاهرة التجانس الثقافي من جهة والتنوع الثقافي من جهة أخرى، وهي مسألة تستحق التوقف عندها كملامح متصلة بتشكيل الهوية الثقافية (١٤).

لا سبيل لمواجهة العولمة إلا بالدفاع عن الهويات الثقافية وامتلاك قدرة المعلومات حتى يرتفع مستوى هذه المجتمعات في تعميق وعي المواطن وإشراكه في التفاعل وإسهامه في البناء الاجتماعي . في عصر العولمة الذي يعتبر أوضح سمات الميديا فيه اتجاهها إلى التسليع .وفي هذا الصدد يقول كل من ادوارد هيرمان ونعوم تشومسكي أن أداء الميديا يتشكل على نحو أكبر بقوى السوق (١٥).

وأصبح لزاماً علينا فهم آليات صناعة الثقافة الغربية وطبيعة القوى المهيمنة على وسائل إعلامها ذلك أن تطور تكنولوجيا وسائل الاتصال ساعد على تطور أشكال أكثر تعقيداً من التضليل الإعلامي إذ يمثل الإعلام هنا أهداف ومصالح المؤسسات الرأسمالية متعددة الشركات التي انتجت واقعًا مزيفًا هو الإنكار المستمر لوجود هذا التضليل الإعلامي واستبداله بمفهوم الحياد.

٤-وظيفة المساهمة في البناء الديمقراطي :-

يختص الإعلام الثقافي بدور مهم في تشييد البناء الديمقراطي وتهيئة التربة الصالحة لنموه، من حيث بث المضامين التي من شأنها الحث علي المشاركة الجماعية والعمل على الإثراء الثقافي الوطني وفق مبادئ قوامها العدالة والحرية فلا يقتصر الإنتاج الثقافي على طبقة دون اخرى، كما لابد من تمكين كل الفئات والأقليات من المشاركة في الحوار الحقيقي ولا يتأتي ذلك إلا عن طريق التفاعل مع المحيط الاجتماعي. أن إشاعة حرية التعبير عن الرأي تؤدي في مجملها إلى ضمان الأمن الثقافي للمجتمع الذي هو صمام أمان ضد الغزو الأجنبي الفكري، كما أن ضمان حرية الإعلام تعمل على النهوض بالإنتاج الفكري كما تعمل على تفجير الطاقات الخلاقة لدي البشر .

فالإعلام الثقافي لما له من إمكانات المرونة والتكيف ما هو قادر على الاضطلاع بوظائف تعمل على دعم الديمقراطية منها، حماية مصالح المجتمع، وذلك عن طريق توفير المعلومات للجمهور، فمشاركة المعرفة وسيلة مهمة لاتخاذ القرارات الصحيحة والتكيف مع المستجدات، كما أن تهيئة المناخ الديمقراطي يعمل على تحقيق الوحدة الاجتماعية بإيجاد ثقافة عامة مشتركة لها القدرة على تمثيل الاتجاهات المختلفة في المجتمع .

إن من أهم الوظائف التي يمكن أن تسهم في ديمقراطية الاتصال وبالتالي تضع لبنات البناء الديمقراطي هي الإسهام في تحقيق المشاركة السياسية وإدارة النقاش الحر في المجتمع، وإحداث الرقابة على مؤسسات المجتمع لكشف انحرافات السلطة بمعنى أن تصبح هذه الوسائل كلب حراسة للمجتمع وليس للسلطة .

إن قدرة الإعلام الثقافي على التأثير في اتجاهات الرأي العام من شأنه أن يجعل الديمقراطية سلوكاً يمارسه الأفراد إذ أن الإقرار بها هو المدخل الأساسي لممارستها فترسيخ هذا الفهم يقود إلى المساهمة في تنمية الحس الانتقائي لدى المتلقي كما تساعده على الابتكار والخلق .

لذلك فإن الإعلام الثقافي يقوم بدور قيادي في التحول الديمقراطي وترسيخ الممارسة الديمقراطية ويعمل على ضمان الأخذ بالقيم والمبادئ الأساسية لها وضمان الحريات والحقوق والقيم وإلزام الدولة حماية هذه الحقوق .

كما أن التقنية المتطورة قد أتاحت فرصًا واسعة للممارسة الديمقراطية عن طريق الإنترنت و بتحالف الانترنت مع برامج الكمبيوتر المجانية توسعت مجالات الديمقراطية بإتاحة المعلومة للعامة غير متحيزة لأي قطاع من سكان العالم فنشر ثقافة حقوق الاتصال والدفاع عنها وحمايتها ضد محاولات الشركات والمؤسسات الكبرى التي توجهها الوجهة الربحية بغية خلق معايير تخدم هذه الوجهة، يصبح أمرًا مهما يجب أن يسنده الإعلام وتروج له الثقافة، وتدخل هنا أيضًا التوعية بحقوق الملكية الفكرية لتظل بأيدى المبدع دون ضغط من أية جهة كانت .

٥-وظيفة الحوار

يستند الإعلام الثقافي علي أهم وظائفه وهي وظيفة الحوار اذ أن مسألة الحوار تعتبر من المسائل التواصلية لذلك تبدو أهمية الأبعاد التواصلية للعقل إذ أنها تبني في داخلها أو في مفهومها دلالة حوارية مع الآخر أو علاقة إدراك مشترك بين أفراد مختلفين(١٦) .إدراك مثل هذه العلاقة يعتبر مهما في الوصول لفهم حجج أو براهين الآخر ذلك يعني أن التواصل العقلي وتداعياته تصبح عوامل أساسية في تشكيل رؤي الفرد ولا يتأتى هذا التصور إلا بخلق بيئة صالحه خصبة لتقبل هذا التواصل ويصبح للإعلام الثقافي أثرٍ بالغ في خلق هذه البيئة. وكذا لا يوجد شك كبير في أن كلا من العوامل الاجتماعية والثقافية تكفل خطوطاً توجهيه تكون السلوك البشري (١٦)

وباعتبار أن الإعلام الثقافي يعتبر من المؤسسات المعرفية التي تهتم بنقل كل أنواع المعرفة على افتراض أن هناك علاقة اتصالية افتراضية بين المرسل والمتلقى تتسم بالمساواة والتوازن. فالاتصال الإنساني يتمثل في القدرة على مشاركة الآخرين خبراتهم وأفكارهم فهو عملية تفاعل اجتماعى يستخدمها الناس لبناء معان مشتركة تشكل في عقولهم صورا ذهنية للعالم ويتبادلون هذه الصور عن طريق الرموز(١٧). لذلك تبرز الحاجة إلى وجود درجة معينه من التصورات المشتركة للواقع، ويقوم الإعلام الثقافي بهذا الدور.

هذه الوظيفة هي ابنة شرعية لبيئة الديمقراطية التي تفرزها وتنتج عنها فالحوار يعتبر مظهرا حضاريا يعبر عن احترام العقل والاعتراف بالآخر كما انه يحتاج إلى لغة واضحة معبرة عن مضامينه فاللغة وراء أية معرفة أو خبرة يكتسبها الإنسان يمكن لوسائل الإعلام أن ترتقى باللغة إلى مرتبة الدقة فهى القنطرة التي تتفاعل من خلالها مجالات المعرفة المختلفة ومن خلال هذه الوظيفة تتجلى أهمية وسائل الإعلام.

وسائل الإعلام الثقافي :-

نشهد في هذا العصر تضاؤل دور الوسائل التقليدية امام هذا الكم الهائل من الوسائل التقنية الحديثة سهولة الاستخدام، ذلك الامر ربما يشكل عائقا في المجتمعات النامية اذ نه يزاحم وسائل التعبير التقليدية ومنابر الإعلام التقليدية في الارياف، وكل ما من شأنه دعم المجتمع المحلى فيعمل علي ترهل النسيج

الاجتماعي للمجموعات البشرية التي تحاول أن تدعم التضامن والانسجام داخل مكوناتها المحلية ويضعف نتيجة لذلك الانتماء والوعي المشترك بمشكلات هذه الجماعات ورغبتها في المشاركة في حلها .

لذلك قد يكون من المفيد التساؤل عن الفارق بين أجهزة الثقافة وأجهزة الإعلام . وهذا ما يقودنا للتعريف بهما. فقد وضعت ضمن اجهزة الإعلام كل جهاز تمتد وظائفه الي قطاعات اخرى غير الثقافة و كان له دور كبير فيها، مثل الصحافة والاذاعة والتلفزيون، ووضعنا في عداد أجهزة الثقافة ما بقي أي كل ما اقتصر دوره علي الانتاج وترويجه مثل الكتاب والمسرح وغيره (١٨) غير أننا نرى أنه يصعب التفريق بين أجهزة الثقافة وأجهزة الإعلام وكذلك لا يمكن وضع حد فاصل بين وظائف كل من الأجهزة لذلك فإن الوسائل التقليدية بالإضافة وسائل الإعلام الإلكترونية وسائل الإعلام الجديد من انترنت أو هاتف جوال أو غيره كذلك الوسائل التي تنقل وتعبر عن المنتوج الثقافي كلها وسائل تستطيع أن تبث وتنقل وتعبر عن الثقافة بمختلف اتجاهاتها . طالما أن لديها القدرة على اجتذاب المتلقي الذي هو في نهاية الأمر غاية وهدف السلوك الاتصالي عن طريق إعداد الرسالة الثقافية وإبلاغها.

٦-وظيفة طرح بدائل ثقافة التسلية

إن ثقافة التسلية في كثير من مضامينها تشتمل على اساليب الاتصال الاقناعى وهي الأساليب التي تركز على محركات العاطفة والوجدان ومثيرات الغرائز البدائية لدى الإنسان بعيداً عن المستند العقلاني، فينجرف وراءها المتلقى دون نقاش فكرى ومن قبيل هذا (الدراما – البرامج الفضائية الأخرى ... الخ) فيتم تأسيس القناعات المختلفة عن طريق خطاب غير مباشر وهو ما يمثل تحدياً حقيقياً للمجتمعات المحلية .

إن الاتصال المعلوماتي الترفيهي صار يقدم مواد جاذبة وصور ورسوماً وإعلانات وبرامج وأغانٍ تستهلك معظم أوقات الشباب والأطفال، كما أن وسائلها سهلة الاستخدام ولا تخضع لقوانين .هنا يبرز دور الإعلام الثقافي في اقتراح برامج جادة بديلة مبنية على استراتيجيات وطنية وقيم محلية تمثل منافسا حقيقيًا لتحديات ثقافة التسلية الغربية .

٧-وظيفة احداث التقارب بين الثقافات

تعد ظاهرة الاتصال بين الأفراد والامم والشعوب، ظاهرة قديمة قدم الإنسان والامم . لكن الاهتمام بظاهرة الاتصال المقرونة بحركة الإعلام والدعاية والرأى العام كدراسة منهجية منتظمة قد بانت معالمها اكثر في الفترة التي تلت الحرب العالمية الثانية، حيث ظهرت بعض الكتب والدراسات القيمة في مجال الإعلام في اواخر الخمسينيات واوائل الستينيات في القرن الماضى، وتناولت أساليب الاتصال الجماهيرى وفنونه كالصحافة والإذاعة والدعاية والإعلام والعلاقات العامة وغيرها .كما شهدت الدراسات التي تثير قضايا التبعية الإعلامية وقضايا العالم المتقدم والعالم النامى ايضا اهتماما واسعا في أدبيات اعلام الامم المتحدة ومنظمة اليونسكو بالتحديد. وأظهرت هذه الدراسات الفجوات التقنية بين هذه الدول وقد بحت اصوات متعددة في عالم واحد وهى تبحث عن صيغة لإحداث التوازن في التدفق الإعلامى بين الشمال الغنى والجنوب الفقير. وفى حقبة الخمسينيات ساد الفكر البنيوى والوظيفى في الدول المتقدمة وتمخض عنه انموذج تفسيرى لاحتياج العالم النامى إلى الانتقال من مجموعة الأنماط السلوكية التقليدية إلى الحديثة، وظلت دراسات وبحوث المثقف الغربى تدور حول كيفية نقل الفرد في هذه الدول من مغبة الرؤية الدينية إلى الرؤية العلمانية، وصور الثقافة التقليدية بانها تعانى من قصور معلوماتى كبير جعل عملية التعبئة صعبة ومن ثم تحول هذا التيار إلى وسائل الإعلام لتؤدي الدور الرئيسى في التحديث شريطة أن تنأى عنها النخبة فلا تستغلها لخدمة مصالحها وبسط سياساتها .

وطالما أن الانتماء هو حاجة طبيعية لدى الإنسان كى لا يعيش وحيداً، يلتحم الإنسان بالآخر ويشعر بالأمان من خلال رموز ومظاهر الانتماء مع اشخاص يشاركونه ذات الميول والاهتمامات فيشعر الفرد أن الجماعة تمثله بصفه مستمرة وتساعده على اتاحة عادات ومفاهيم وممارسات ومهارات جديدة وبالتالى في بناء علاقات جديدة واحداث تغييرات كبيرة في المواقف والاتجاهات والسلوك والاوضاع الاجتماعية.

ولاشك أن أهم ما يميز الإنسان عن غيره من الكائنات الاخرى هي هذه العلاقات الاجتماعية والتي تتسم بالمرونة وبالتالي لا يمكن دراسة الفرد

والجماعة البشرية بمعزل عن الظروف المحيطة بهما، وكما قلنا فانه لابد من النظر إلى الإعلام الثقافي كعملية اجتماعية تقوم على التفاعل بين القائم بالاتصال والجمهور والمستهدف والرسالة الموجهة اليه والموقف الاتصالى.

لذلك لابد من توافر شروط محدده لتتم عملية المشاركة الاتصالية والتى بموجبها يتم التقارب الثقافي فينبغي توافر هياكل البنية الاساسية للإنتاج الثقافي والفكرى فأي خلل في هذه البنية يؤدى إلى احداث نظام غير متوازن كذلك لابد من توافر حد من الأداء التكنولوجي فالتطور المضطرد في المجال التكنولوجي يشير إلى حتمية اللحاق به لتمهيد بيئه اتصالية وتمتين النسيج المعرفى بدعم وتوافر المحتوى الثقافي والإخبارى والفكرى في المجتمع ايضا يشير إلى مناخ ملائم للمشاركة الاتصالية. كذلك توافر المعلومة وحرية حركتها يساعد على وضوح الأيدلوجية الاجتماعية التي تحدد اهداف الفكرة والثقافة تعتبر هامه جداً لموجهات تخدم البيئة الاتصالية. كما أن عملية الاتصال الجماهيري يجب أن ترتبط بنائياً ووظيفياً بالظواهر الاجتماعية والثقافية وتعمل على تحقيق التكامل الاجتماعي والسياسي. كذلك ربط الفرد بقضايا مجتمعه تجعله اكثر يقظة وتفاعلاً مع عمليات المشاركة الاتصالية وبالتالى تمهيد بيئة التقارب بين الثقافات إذ أنه يحاط علمياً بما يدور من احداث وقضايا وانجازات سياسية واجتماعية وثقافية تكون حافزاً ودافعاً لمشاركة اتصالية فاعلة.

٨-وظيفة تشكيل الهوية

يقوم الإعلام الثقافي بدور مقدر في تشكيل الهوية مستندًا على أهم وظائفه وهو الحوار. إذ انه يعمل على بلورة الاتجاهات وبالتالى خلق مجتمعات المشاركة التفاعلية، وتعتبر الجغرافيا إحدى محددات الهوية إذ انها تساعد في تمهيد بيئة الاتصال، فالظروف المناخية إلى جانب الاحوال البيئية قد تؤدى إلى النزوح والهجرات إلى مواقع الجذب الأمر الذى يؤدى إلى إحداث نوع من الحراك الاجتماعي نشأ نتيجة للاتصال بين الأفراد والجماعات، والذى ربما يقود بدوره إلى تشكيل هوية جديدة، وهيمنة احدى الهويات بفعل محركات النظام الاتصالى، كذلك الأبعاد السياسية للاتصال ربما تؤدى بدورها إلى صياغة جديدة أو دعم لسياسة موجودة اصلا مثل التحالفات القبلية أو الاتفاقات التي

تنص بنودها على محفزات الاتصال . ففى واقع التنوع العرقى والثقافي ربما يعمل الإعلام الثقافي كآلية تقارب بين الانتماءات المختلفة ليخلق واقعاً مشتركاً. كما أن الانتماءات الدينية والطائفية تعمل على توسيع مساحات الاتصال والمشاركة فتحشد قدراتها لإحداث بعض التغييرات في سمات وخصائص المجتمعات إذ تنشىء واقعًا اتصاليًا جديدًا، يعمل بدوره على تهيئة وعي اتصالي بين الأفراد والجماعات خاصة في المجتمعات التقليدية حيث يعتمد الاتصال على المواجهة المستمدة من السياسات والاعراف التي تم تبنيها محليا مستقلة بذلك عن تصورات المركز . كما يؤدي النشاط الاقتصادى دوره في دعم الاتصال التلقائى غير المخطط فالتجارة التبادلية تخلق نظما اتصالية لها فاعليتها في احداث التحولات الثقافية . وتعمل الازمات والكوارث – التي تشمل رقعا جغرافية محددة – على تغيير الوضع الديموغرافى والخروج بمجتمع مختلف له سمات اكثر تحديدًا.

الا أن بعض المعيقات ربما تشكل عائقًا أمام الإعلام الثقافي ليضطلع بدوره كمحفز للتقارب الثقافي من خلال تهيئة بيئة المشاركة الاتصالية نذكر منها:

- انعدام البنية الفكرية والثقافية والسياسية يشير إلى وضع غير متوازن يؤثر سلباً على عملية المشاركة الاتصالية.
- التعتيم المعلوماتي وتقييد انتقال المعلومة دون انطلاقها يعتبر عائقاً مهمًا في سبيل اتمام الفاعلية المرجوة من الإعلام الثقافي .
- ضعف البنية الأساسية لوسائل الاتصال تضيف معوقاً آخر يهدد سلامة المشاركة الاتصالية، وبالتالي تقييد الإعلام الثقافي من القيام بدوره المنوط به.
- التركيز على مجموعة اتصالية دون غيرها يصرف بقية المجموعات عن المشاركة في العملية الاتصالية مما يحدث خللاً بينا في مستوى المشاركة الاتصالية وربما يؤدى إلى (غبن اتصالى) يقود بدوره إلى ظواهر اجتماعية سلبية.
- خلو المضمون الفكرى من الارتباط بالهوية والتراث الفكرى وبأهداف المجتمع يعمل على اتساع مساحة واسعة للاغتراب الثقافي ويعرض مكونات العملية الاتصالية إلى مضامين اخرى ربما تفكك الجزيئات

المكونة للنسيج الاجتماعي ويفقد المجتمع طابعه الخاص بـه نتيجـة للاختراق. خاصة وأن مشاكل العرقية والتعددية لم تعد قاصـرة علـى الدول النامية إذ يشهد هذا القرن اهتماما متزايـدا بنفـوذ السـلالات والأعراق والديانات . ورغم تقدم العلم والمعرفة الا أن القبلية لم تتبدد، إذ اتجهت الإنسانية إلى التشظى وعوامل الفرقة والصراع بين العقـول الريفية والعوالم المتحررة من الأحقاد القومية أو المحلية، مما يشـير إلى أن الأزمة هى أزمة ثقافية في كل جوانبها فمشاكل الصـراع بـين الحداثة والتقليدية تعتبر احدى مظاهر الازمة . لذلك تبدو الحاجة ماسة إلى خلق الانظمة الاتصالية القادرة على توجيه الثقافة وتكريس دورها في تحديد معالم المجتمعات إلى جانب تقوية وربط الانسجة الاجتماعية ولا يتأتى لها ذلك الا مـن خـلال الاعتـراف بخصوصـية الاوضـاع الاجتماعية إذ يستطيع النظام الاتصالى وفق هذا الشرط القيـام ببنـاء الثقة ومد جسورها لاحتواء التشرذم مستندًا على مضامين تبـث مـن خلال الوسائل التي يتبناها المجتمع المعنـى .ويـأتى هـذا الاهتمـام بالثقافات المحلية وهو اهتمام بالأجزاء التي يتركب منها الكل الثقـافي القومى وهى الشرايين التي تبث في الجسد القومى الحياة . كما ساعد في انتشار اللغات المختلفة وتعد اللغة عامل توحيد بالغ الأهمية ويمكن القول إنها من الشروط الاساسية لقيام أي مجتمع.

النتائج والتوصيات

من العرض السابق يتضح لنا أنه لابد من توافر هياكل البنيـه الاساسـية والإنتاج الثقافي والفكري فأي خلل في هذه البنية يحدث نظما غير متوازنة.

إن توافر الأداء التكنولوجي المتطور لوسائل الإعلام أيضًا يشير إلى مناخ ملائم في المشاركة الاتصالية ويدعم ذلك إتاحة المعلومة وحرية حركتهـا مـع وضوح الفكرة، وتعتبر كل ذلك موجهات تخدم بنية الإعلام الثقافي فربط الفـرد بقضايا مجتمعه تجعله أكثر يقظه وتفاعلا مع عمليات المشاركة الاتصالية، كما أن التعتيم المعلوماتي وتقييد انتقال المعلومة دون انطلاقها يعتبر عائقـا فـي سبيل القيام بوظائف الإعلام الثقافي المرجوة كما أن خلو المضمون الفكري من الارتباط بالهوية والتراث الفكري وبأهداف المجتمع يعمل علي اتساع مسـاحة

الاغتراب الثقافي، و يعرض مكوناتها اي الهوية إلى مضامين أخرى غريبة عن النسيج الاجتماعي مما يفقد المجتمع هويته الخاصة به ويعرضه للاختراق. فلابد من تفعيل وسائل الإعلام الثقافي حتي تعمل علي تثبيت الهوية القومية وتقوم بمهمة طرح وتبني ونشر القضايا المختلفة وشرحها للرأي العام مع اقتراح الحلول .فوضع إستراتجيات وطنية للأعلام الثقافي وايمان متخذ القرار بضرورة تنفيذ هذه الإستراتيجيات يعتبر خطوة جادة لمواجهة تحديات العولمة الثقافية، اذ تقوم الإستراتيجية على مرتكزات وسياقات مهمة اهمها حماية الذات الثقافية من التلاشى، ومقاومة الفساد بإقرار الشفافية واتاحة المعلومة وتخصيص جعل من ميزانية الدول بهدف بناء الإنسان من خلال تنفيذ هذه الإستراتجيات .وتقترح الدراسة توصيات من شأنها توفير بيئة صالحة للإعلام الثقافي ليؤدي دوره المنوط به تتلخص في قيامه بالوظائف التي ناقشتها الدراسة وأهمها:

- تهيئة بيئة المشاركة والتفاعل حول القضايا الاجتماعية المختلفة بهدف احداث التأثير الاجتماعي وتأييد قيمه ومفاهيمه المختلفة.
- العمل على تثبيت الهوية القومية، وذلك عن طريق تفعيل الثقافات الوطنية تشجيع وسائل الانتماء والمواطنة.
- الاضطلاع بمهمة طرح وتبنى ونشر القضايا الاجتماعية الحقيقة وشرحها للرأي العام وإنزال أنسب الحلول لمعالجتها.
- العمل على انتشار الوعى من خلال المساعدة في رسم وابتداع السياسات والإجراءات واتخاذ القرارات.
- العمل على تحديد اماكن القصور والخلل في النهج والبناء القومي، فالإعلام الثقافي كمفهوم يشير إلى العلاقة التي تكون بين الناس داخل نسق اجتماعي معين والإنسان بتعقيداته الشخصية ومشكلاته ومتغيراته يعتبر الإعلام عنصر أساسى في نشاطاته وعلاقاته الإنسانية.

المصادر والمراجع

١ - Andrew A. Noemeka, ed , Communication for Development, Albany, state university of New York press1994.

٢ - Thomas L Mcphail ترجمة حسنى محمد نصر، عبد الله كنـــدى، الإعلام الدولى، (العين : دار الكتاب الجامعي، ٢٠٠٣م).
٣- محمد توهيل عبدالسعيد، هذه هي العولمة (الكويـــت-مكتبـــة الفـــلاح ٢٠٠٢)، ص١٨٨.
-حسن مكاوي وليلي حسين السيد، الاتصال ونظرياته المعاصـــرة، الـــدار المصرية اللبنانية، القاهر، ص٢٠٤
٤- إلياس خوري، العولمة وحقوق الإنسان الثقافيـــة، الجمعيـــة اللبنانيـــة لحقوق الإنسان، بيروت ٢٠٠٢، ص٧٥.
٥- المجلة المصرية لبحوث الإعلام – العدد الثالث والخمســـون- أكتـــوبر /ديسمبر ٢٠١٥ ص(٩٣).
٦- مصطفي المصمودى، النظام الإعلامي الجديد، (الكويت : عالم المعرفة، ١٩٧٨م)، ص١٧١.
٧- محمد العنبشى، مجلة ثقافتنا، ٢٤، موقع إيران عرب .
٨- أديب خضور، الإعلام الثقافي المتخصص، طبيعة العلاقة بين الإعـــلام والثقافة، جريدة الأسبوع الأدبي، العدد ٨٥٩، ٢٤ / ٥ / ٢٠٠٣م.
٩- إبراهيم .الدقواقي، الإعلام والتنمية الحضرية في الوطن العربي، مجلة التوثيق الإعلامي، مج٥، ع١، ١٩٨٦م، ص٣٣.
١٠- نبيل على، قضايا عصرية، رؤية معلوماتية، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص ٤٦.
١١-محمد عبدالله .مجلة الدراسات الإعلامية، العدد١٠٠يوليو-ســـبتمبر، المركز العربي الإقليمي للدراسات الإعلامية والسكان والتنمية والبيئة، القاهرة ص٧١.
١٠- نبيل على، قضايا عصرية، رؤية معلوماتية، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص ٤٦.
- نبيل على، قضايا عصرية، رؤية معلوماتية، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص ٤٦.
١٢- نبيل على، قضايا عصرية، رؤية معلوماتية، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص٢٤.

١٣- شون ماكبرايد وآخرون، أصوات متعددة وعالم واحد، منشورات اليونسكو الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٨١م، ص٥٥٢.
١٤- بركات محمد مراد، ظاهرة العولمة رؤية نقدية، كتاب الأمة، (الدوحة : ٢٠٠٢م)، ص٩٢.
١٥-دافيد إدواردز ودافيد كروموبل حراس السلطة (عدسات الميديا)، ترجمة آمال، كيلاني، مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٧م .
١٦- الايدولوجية الهوية الثقافية-جورج لاين – مكتبة مدبولي القاهر، ص٨٩
١٧-ابراهيم ابو عرقوب، الاتصال الإنساني ودوره في التفاعل الاجتماعي، تخليص محمد عثمان، مجلة الدراسات الاعلامية، العدد٧٤مارس ١٩٩٤م
١٨- مرجع سابق .
١٩- باولو فيراري، تعليم المقهورين، هيرد آندهيرد، ١٩٧١م.ص١٤٥.
٢٠- مرجع سابق.
٢١-محمد عبدالحميد، نظريات الإعلام واتجاهات التأثير، عالم الكتب، القاهر، ٢٠٠٠.ص٦٦.
٢٢-إسماعيل الحاج موسي، الحكم الفيدرالي والإعلام في الفيدرالية في السودان بين التحديات والتطبيق، جامعة الاحفاد، معهد دراسات النوع والمرأة، أمدرمان ٢٠٠٢، ص٢٠٣.
٢٣-فخري لبيني، صراع الحضارات ام حوار الثقافات، مطبوعات التضامن، القاهرة .١٩٩٧، ص٥٥.
٢٤- بول واني، الصراعات في السودان، مجلة محاور، مركز محمد عمر البشير للدراسات السودانية ٢٠٠٤ص ١١٧.